

التحرير والتنوير

ففي هذه الآية أدب في مجلس الرسول A والآية التي بعدها تتعلق بالأدب في مناجاة الرسول A وأخر تلك عن آيات النجوى العامة إيدانا بفضلها دون النجوى التي تضمنتها الآيات السابقة فاتحاد الجنس في نجوى هو ومسوغ الانتقال من النوع الأول إلى النوع الثاني والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي .

وأيا قد كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسح في المجلس النبوي الشريف .

روي عن مقاتل أنه قال كان النبي A في الصفة وكان في المكان ضيق في يوم الجمعة فجاء ناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس قد سبقوا في المجلس فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يفسح لهم وكان النبي A يكرم أهل بدر فقال لمن حوله : هم يا فلان بعدد الواقفين من أهل بدر فشق ذلك على الذين أقيموا وغمز المنافقون وقالوا : ما أنصف هؤلاء وقد أحبوا القرب من نبيهم فسبقوا إلى مجلسه فانزل الله هذه الآية تطيبها لخاطر الذين أقيموا وتعلينا للأمة بواجب رعي فضيلة أصحاب الفضيلة منها وواجب الاعتراف بمزينة أهل المزايا قال الله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله بفضله على بعضكم على بعض) وقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله بالحسن) .

والخطاب ب (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لجميع المؤمنين يعم من حضروا المجلس الذي وقعت فيه حادثة سبب النزول وغيرهم ممن عسى أن يحضر مجلس الرسول A .
وابتدئت الآية بالأمر بالتفسح لأن إقامة الذين أقيموا إنما كانت لطلب التفسح فإناطة الحكم إيماء إلى علة الحكم .

مكان في فسحة له جاء أو إذ مخففة السين بفتح له فسح من تفعل وهو التوسع : والتفسح A E وفسح المكان من باب كرم إذ صار فصيحاً . ومادة التفعل هنا للتكلف أي يكلف أن يجعل فسحة في المكان وذلك بمضايقة من الجلاس .

وتعريف (المجلس) يجوز أن يكون تعريف المهد وهو مجلس النبي A أي إذ قال النبي A لكم ذلك لأن أمره لا يكون إلا لمراعاة حق راجح إلى غيره والمجلس مكان الجلوس . وكان مجلس النبي A بمسجده لأكثر أن يكون جلوسه المكان المسمى بالروضة وهو ما بين منبر النبي A وبيته .

ويجوز أن يكون تعريف (المجلس) تعريف الجنس . وقوله (يفسح ا لكم) مجزوم في جواب قوله (فافسحوا) وهو وعد بالجزاء على الامتثال لأمر التفسح من جنس الفعل إذ جعلت توسعة ا على الممثل جزاء على امثاله الذي هو إفساحه لغيره فضمير (لكم) عائد على الذين آمنوا باعتبار أن الذين يفسحون هم من جملة المؤمنين لأن الحكم مشاع بين جميع الأمة وإنما الجزاء للذين تعاق بهم الأمر تعلقا إلزاميا .

وحذف متعلق (يفسح ا لكم) ليعلم كل ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من مكان أو رزق أو جنة عرضها السماوات والأرض على حسب النيات وتقديره الجزاء موكول إلى إرادة ا تعالى .

وحذف فاعل القول لظهوره أي إذ قال لكم الرسول : تفسحوا فافسحوا فإن ا يثيبكم على

ذلك